

دور العرب والمسلمين في تطوير علوم الطب وأثره في عصر النهضة الأوروبية الحديثة

الأستاذة: أسماء بلهادي

جامعة الجزائر 2

belhadiasma@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى إلقاء ضوء على إسهامات العرب والمسلمين في بناء صرح المعرفة العلمية ووضع قواعدها وأسسها والتي منها استفاد الغرب في نهضته العلمية ابتداء من القرن الخامس عشر وقد ركزنا هنا على جانب عظيم الأهمية وهو الطب سواء الجانب النظري منه أو العملي وكيف استطاع العرب والمسلمون الارتقاء بالجانبين إلى مستويات متقدمة لم تعرفها أوروبا في عصورها الوسطى وما كان لها إلا أن تتعلم على أيدي أطباء حضارتنا العتيقة في هذا المجال. الكلمات المفتاحية: الطب، المسلمون، النهضة، المعرفة، الحضارة.

Abstract:

This paper aims to shed light on the contributions of Arabs and Muslims in building the edifice of scientific knowledge and setting its bases and foundations, from which the West benefited in its scientific renaissance starting from the fifteenth century. The two sides reached advanced levels that Europe did not know in the Middle Ages, and it only had to learn from the doctors of our future civilization in this field.

Keywords: medicine, Muslims, renaissance, knowledge, civilization.

مقدمة (دور العرب والمسلمين في التطور الحضاري العالمي):

أدى التقدم العلمي والتكنولوجي الذي بلغته الشعوب الغربية إلى إحساس هذه الأخيرة بتفوقها الذي لا يقارن، في اعتقادها، وبكونها صاحبة الفضل الأول والأخير فيما وصلت إليه الحضارة المعاصرة من رقي. فطلع علينا المستشرق الفرنسي /رنست رينان (1823-1892)، المعروف بنظريته العنصرية التي تقسم الأجناس البشرية إلى مجموعات تتفاضل فيما بينها بالعرق والجنس، وجعل الشعوب السامية أدنى مرتبة من الشعوب الآرية وادّعى أنها شعوب لم تحبل على النظر العقلي. كان ذلك هو حال الشعوب العربية الإسلامية التي هي، في زعمه، تفتقر إلى الإبداع العقلي وأي واحد يزور بلدان هذه الشعوب سوف يرى ذلك الطوق الحديدي الذي يغلف عقول أبنائها من ثم لم يكن لهذه الشعوب لا فلسفة ولا علم.

ولحسن الحظ أن هذا النوع من الأفكار العنصرية لم يصمد أمام الشواهد التاريخية والنظرة الموضوعية لتاريخ العلم، وقد وجد من تصدّى له بالنقد والدحض. ولما كان أمر

العرب والمسلمين هو ما يهمننا بالدرجة الأولى فلنا أن نستعرض موقف العلامة غوستاف لوبون في كتابه الشيق "حضارة العرب" إذ يقول: "كلما أمعنا في درس حضارة العرب وكتبهم العلمية واختراعاتهم وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة وأفاق واسعة، فسرعان ما رأينا أن العرب أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وأن جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون موردا علميا سوى مؤلفاتهم وأنهم هم الذين مدّنوا أوروبا مادة وعقلا وأخلاقا وأن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير... وتأثير العرب عظيم في أوروبا"⁽¹⁾.

وعلى ذكرنا لتاريخ العلم نجد واحدا من أهم مؤسسي هذا الحقل المعرفي المهم وهو الأمريكي البلجيكي الأصل جورج سارتون (1884-1956) يؤكد على أن الاهتمام بهذا الحقل ضروري جدا لسببين: أحدهما تاريخي صرف به نفهم الإنسان ونفهم مسار تطور الحضارات، والسبب الثاني فلسفي، به ندرك المعنى الأعظم للعلم. ويضيف سارتون أن تاريخ العلم يقتعنا أن العلم سواء في العصور القديمة أو الوسطى لا يقل أهمية وقيمة وفائدة عن تاريخ العلم الحديث، لذلك في رأيه من لم يلم بتاريخ العلم لن يكون له إلمام بتاريخ الحضارة⁽²⁾.

وبشأن موقفه من الإبداع العلمي لدى العرب المسلمين في عصورهم الزاهية يقول سارتون: "إن تعداد الإضافات العربية لحصيلة العلم قلما يتسع له هذا المقام... غير إني محمول على أن أنوه بحقيقة ماثلة محصلها أن.... كتاب العرب وعلمائهم... خلفوا آثارا أعظم من ذلك كثيرا، فإنهم لم يقتصروا على نقل المعرفة القديمة بل أنهم خلقوا معارف جديدة... ابتكاريه خلاقة بل إنه الأعظم القفزات الابتكارية من باكورة العصور الوسطى... إن هذه الإضافات العلمية ذات قيمة كبيرة... فإن تفوق الجهد العربي الساحق يصبح حقيقة ماثلة رائعة"⁽³⁾.

لم يكن كلام جورج سارتون كلاما عاما بغير أدلة وبراهين ملموسة، فهذه الأخيرة كثيرة في كتابه ونحن بدورنا سنخصّص هذه المقالة لإسهام العرب والمسلمين في مجال العلوم الحيوية كالطب والتشريح والصيدلة وكيف أن أوروبا الغربية قد نقلت الكثير والكثير منها لتدريسه في جامعاتها مما كان له أكبر الأثر في تطوّر تلك العلوم في عصر النهضة الغربية الحديثة وما يليها. وهذا بشهادة مفكريها أمثال غوستاف لوبون وجورج سارتون الذين ذكرناهما وزيفريد هونكة صاحبة الكتاب المميز "شمس العرب تسطع على الغرب" وهوارديرنر الذي يرى في كتابه "العلوم عند المسلمين" أن الممارسات الثقافية والسياسية للعرب والمسلمين قد كان لها "تأثير بالغ على أوروبا الغربية في العصور الوسطى المتأخرة حيث لعبت المنجزات الإسلامية دورا رئيسا في تطوير عصر النهضة وبالتالي في تشكيل المجتمعات فيما بعد بما في ذلك مجتمعنا الحالي"⁽⁴⁾.

عرض:

¹- لوبون غوستاف، حضارة العرب، تر، عادل زعيتير، دط، (مصر: هنداوي للتعليم والثقافة، 2012)، ص30
²- سارتون جورج، تاريخ العلم والإنسية الجديدة، تر، إسماعيل مظهر، دط، (القاهرة: دار النهضة العربية، ماي 1961)، ص133
³- المرجع نفسه، ص167
⁴- تيرنر هوارد، العلوم عند المسلمين، تر، فتح الله الشيخ، الطبعة الأولى، (دون مكان النشر: المجلس الأعلى للثقافة، 2004)، ص29

1-الإبداع العربي والإسلامي في مجال الطب وعلوم الحياة و المنهج المعتمد في ذلك:
عندما توسعت رقعة الإمبراطورية العربية الإسلامية واستقرت أحوالها التفتت الخلفاء والأمراء فيها إلى الحكمة والمعرفة بكل ألوانها خصوصاً في العصر العباسي، عصر الخليفة/المأمون الذي يتفق أغلب المفكرين على أنه "عصر النهضة العلمية في تاريخ الإسلام، فقد نشطت في ذلك العصر البعثات العلمية لاستقاء المعرفة من منابعها الأصلية ... وكان التشجيع على ترجمة أمهات الكتب في الفلسفة والطب والطبيعة والفلك والرياضيات والسياسة ونظم الحكم وغيرها هو السمة الغالبة لهذا العصر"(1).
إذ نشطت حركة النقل والترجمة وانتشرت مراكزها في عواصم الخلافة الإسلامية ولعل أشهرها هو بيت الحكمة الذي أسسه/المأمون في بغداد سنة (137هـ/832م) والذي أصبح من أرقى المراكز العلمية آنذاك، حيث ورث مدارس عريقة كبرى كمدرسة "الإسكندرية" ومدرسة "نصيبين" و"جنديسابور" وغيرها، وقد ظلت "بيت الحكمة" منارة العلم والعلماء إلى أن داهم المغول بغداد (656هـ/1258م) وخربوها فانتهى بذلك دورها التنويري(2).

لقد كانت كل العلوم مطلوبة، الفلك والرياضيات والفلسفة والكيمياء وكان "الطب من أوائل العلوم التي اهتم علماء المسلمين بالبحث فيها عن طريق ترجمة أعمال السابقين من الأطباء في الحضارات المختلفة... فترجمت المؤلفات اليونانية والفارسية والهندية والرومانية والسريانية في الطب، واطّلع المسلمون على كم هائل من التجارب وبخاصة التجارب اليونانية القديمة"(3) وهذا الاطلاع وهذه الاستفادة من تجارب السابقين لم يترك لها الأطباء المسلمون بل اعترفوا بها وردّوا الفضل فيما تعلّموه لأصحابه فتمّ ذكرهم لهم في كتبهم. وكما يؤكد راغب السرجاني "أن الأطباء المسلمين كانوا في الأمانة والنزاهة ... وما ادعى طبيب مسلم اكتشافاً علمياً نقله من عالم من الحضارات الأخرى بل امتلأت كتب الأطباء المسلمين بأسماء العلماء الذين نقلوا عنهم وأعطوهم التقدير الكافي والتبجيل الواضح"(4).

ولنا هنا أن نسوق مما كتبه واحد من الأطباء المرموقين "أبي بكر الرازي صاحب كتاب الحاوي (من أعظم كتب الطب في العالم) إذ يقول: "... ولقد جمعت في كتابي هذا جملاً وعيوناً من صناعة الطب مما استخرجته من كتب أبقرات وجالينوس وأرماسوس ومن دونهم من قدماء فلاسفة الطب مثل بولس وأهرون وحنين بن إسحاقو يحيى بن ماسويه... وغيرهم"(5).

بالإضافة إلى الأمانة العلمية التي كانت خلقاً بارزاً من أخلاق الأطباء المسلمين فإنهم لم يكتفوا بمجرد النقل والترجمة بل عمدوا إلى تصحيح الكثير من الأفكار المغلوطة فيما

1- الصباغ رمضان، العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوروبية، الطبعة الأولى، (الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر التوزيع، أغسطس، 1998)، ص92.

2- الصباغ رمضان، العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوروبية، صص 92، 212، 213.

3- السرجاني راغب، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، (تدمك: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، 2009)، ص36.

4- المرجع نفسه.

5- المرجع نفسه.

نقلوه، كنفدهم لأعمال الطبيب الإغريقي الروماني جالينوس⁽¹⁾ والذي يعتبر من أشهر الأطباء تأثيراً في تطور الطب الإسلامي فيما بعد، فأبدعوا في تطويره والإضافة إليه. ونظراً للتسامح الكبير الذي كانت تتمتع به الحضارة الإسلامية فقد شارك في تطوير علم الطب علماء من مختلف الديانات والأصقاع " فقد ظهرت أسماء نصرانية ويهودية مؤثرة في علم الطب مثل قسطا بن لوقا البعلبكي وأبي النصر المسيحي وهبة الله بن جميع الإسرائيلي وغيرهم لدرجة أنه كان هناك عائلات نصرانية كاملة انصب اهتمامها الأساسي على علم الطب ولذلك تراها قد برعت فيه وتبوأ مكانة مرموقة في الدولة الإسلامية وذلك مثل عائلة آل بختشوع النصرانية التي ظلت تحترف الطب لثلاثة قرون كاملة وكان لها مكانة عظيمة عند خلفاء بني العباس وكان من أشهر علمائهم جبرائيل بن بختشوع الطبيب الخاص لجعفر البرمكي (أحد رجال الدولة في عهد هارون الرشيد)⁽²⁾.

لقد برع الأطباء العرب والمسلمون في علم الصحة وعلم الجراحة والتشريح والأدوية وطب العيون وطب النساء والأطفال وبرزت فيهم أسماء لامعة خلدها التاريخ الإنساني سنأتي على ذكرها لاحقاً.

يقول غوستاف لوبون: "ظهرت للعرب عدّة طرق يعود الطب الحديث إلى بعضها بعد إهمالها قروناً كثيرة كاستعمال الماء البارد في معالجة حمى التيفوئيد. والطب مدين للعرب بعقاقير كثيرة كالسليخة والسنا المكي والزّاوند والتمر الهندي وجوز القي والقرمز والكافور والكحول... وما إلى ذلك، وهو مدين لهم بفن الصيدلة والكثير من المستحضرات التي لا تزال تستعمل كالأشربة و اللعوق واللزقات والمراهم والدهان والمياه المقطرة... الخ"⁽³⁾.

ويثني غوستاف لوبون كذلك على براعتهم في علم الجراحة ويقول أن هذا العلم: "مدين للعرب بكثير من مبتكراته الأساسية وظلت كتبهم فيه مرجعاً للدراسة في كليات الطب إلى وقت قريب جداً ومن ذلك أن العرب كانوا يعرفون... معالجة غشاوة العين... وكانوا يعرفون عملية تفتيت الحصى... وكانوا يعرفون صب الماء البارد لقطع النزف وكانوا يعرفون الكاويات والفتائل... وكانوا يعرفون المرقد الذي ظن أنه من مبتكرات العصر الحاضر و ذلك باستعمال الزّوان لتنويم المريض قبل العمليات المؤلمة حتى يفقد وعيه وحواسه"⁽⁴⁾.

وبالفعل ففي فرع الجراحة ومجال التشريح برع الأطباء المسلمون في تقديم "أكثر الأشكال اكتمالاً... حول بنية الجسد والدورات المختلفة والجهاز العصبي... وقد وضع أبو القاسم الزهراوي... الذي عاش في القرنين العاشر والحادي عشر أهم المراجع في الجراحة ويعد كتابه "كتاب التصريف" موسوعة طبية... ضمت... تصميمات الزهراوي لحوالي مائتي أداة من أدوات الطب، بالإضافة إلى ملاحظاته الأصلية والمفيدة حول

¹-تيرنر هوارد، العلوم عند المسلمين، (مرجع سابق)، ص172.

²- المرجع نفسه، ص37، 38.

³-لوبون غوستاف، حضارة العرب، (مرجع سابق)، ص509.

⁴-لوبون غوستاف، حضارة العرب، ص509.

...الخطط والتقنيات الجراحية للكي Cautérisation ومعالجة الجروح و التوليد والكسور والرضوض والشلل والأسنان ... والصحة العامة للفم"(1).
لقد صاحبت براعتهم الطبية تلك أخلاق راقية وممارسة رفيعة المستوى لآداب المهنة التي "تنظم العلاقة بين الطبيب والمريض وتحكم إجراءات الجراحة والعلاج...مدعومة بتدريبات جادة وأكثر شمولاً وأكثر تقدماً"(2)

لكن ماذا عن منهجهم في البحث؟ هل كان منهجاً تأملياً مجرداً أم تجريبياً استقرائياً؟
في الحقيقة لم يقف العلماء والأطباء المسلمون عند حدود النظر والتخمين الفرضي للحالات المرضية التي صادفوها وإنما طوّروا مناهج عالية استندت إلى الخبرة والتجربة المحسوسة من ثم كان منهجهم "منهج الخبرة المستندة على التشخيص والتفريق"(3) واعتمدوا على " المنهج التجريبي... وكانوا يقومون في ذلك بتجربة طرق مختلفة ومتعددة للعلاج وملاحظة الفروق بين هذه الطرق وتسجيل ذلك بعناية ودقة"(4).

كما أنهم اهتموا اهتماماً حذراً "بتسجيل الملاحظات اهتماماً بالغاً فكانوا يدونون ما يشاهدونه في الحالات المرضية المختلفة كما اهتموا بمحاولة تبرير هذه الملاحظات بما يستطيعون أو محاولة ابتكار العلاج المناسب لكل حالة... وبذلك حدث المزج الرائع بين العلوم النظرية والعلوم العملية"(5).

وحتى تعم الفائدة ويستفيد الراغبون من الطلاب في مزاولة مهنة الطب فإنه "بحلول القرن الثاني عشر كان الأطباء المسلمون قد أنجزوا مكتبة مهنية ضمت كلا من الموسوعات وتاريخ الطب ومراجع متخصصة في مجالات مختلفة مثل الرمد وكتب مرشدة لممارسة الطب وللممارسين"(6).

المستشفيات:

يعتبر إنشاء المستشفيات وفتح أبوابها للأغنياء والفقراء على حد سواء من الانجازات العظيمة في الحضارة العربية الإسلامية، وتلك المستشفيات بنيت انطلاقاً من تخطيط دقيق وواع بأهمية مراعاة المكان والجو المناسبين للصحة العمومية وهناك قصة مثيرة للإعجاب تواترها المؤرخون مفادها "أنه عندما أراد السلطان عضد الدولة أن يبني مستشفى جديداً...في مدينة بغداد أوكل إلى الطبيب الذائع الشهرة "الرازي" بالبحث عن أفضل مكان له فكان أن أوصى الرازي خدمه بتعليق قطع كبيرة من اللحم من مختلف الأنواع في كل أطراف بغداد ثم انتظر مدة أربع وعشرين ساعة وانتقى المكان الذي ظل فيه اللحم أحسن حالة أو قل في أقلها سوءاً"(7).

لقد بني أول مستشفى في عصر الخليفة هارون الرشيد في القرن الثامن الميلادي (القرن الثاني الهجري) بعدها انتشر بناء المستشفيات في كل أنحاء العالم الإسلامي

¹-تيرنر هوارد، العلوم عند المسلمين، ص73.

²- المرجع نفسه، ص83.

³- محسن حسين أحلام، الطب العربي وأثره على المعرفة الطبية في أوروبا، مجلة التراث العلمي العربي، مركز إحياء التراث العلمي العربي، (جامعة بغداد)، العدد الثالث، 2015.

⁴- السرجاني راغب، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ص38..

⁵- المرجع نفسه، ص39.

⁶- تيرنر هوارد، العلوم عند المسلمين، ص171.

⁷- هونكة زغيريد، شمس العرب تسطع على الغرب، تر، فاروق بيضون وكمال دسوقي، الطبعة الثامنة، (بيروت:

دار الأفاق الجديدة، 1993)، ص229.

بمقاييس جعلتها تتفوق على جميع المؤسسات الإستشفائية في العالم القديم⁽¹⁾، وبتجهيزات راقية غاية في الأبهة والرفاهية مفتوحة كما ذكرنا للأغنياء و الفقراء من المرضى⁽²⁾. من تلك المستشفيات نذكر "مستشفى عضد الدولة في بغداد بأقسامه الواسعة ومستشفى النوري في دمشق مع مبانيه المخصصة لكل الفروع وجوهرة المستشفيات المستشفى المنصوري بالقاهرة"⁽³⁾.

ثالثاً: دور حركة النقل والترجمة في نقل علوم الطب والحياة وقيام النهضة العلمية الأوروبية الحديثة.

1. النظرة الغيبية الكنسية للمرض والشفاء:

تصف زيغريد هونكة حالة الطب المتدنية في أوروبا القرون الوسطى فتقول أن النظرة الدينية الغيبية إلى المرض والشفاء هي التي كانت مسيطرة آنذاك وهي نظرة تربط المرض بالأرواح الخبيثة وبالخطيئة وبمس الشياطين وأن الشفاء لا يستلزم سوى قوة الإيمان والإيمان المطلق في ملكوت الله ورحمته وأن خلاص الروح أعظم من شفاء الجسد. وهذه كلها معتقدات كرستها الكنيسة وأصبحت متأصلة في الوعي الديني. فالكنيسة لطالما كانت توصي رهبانها أنه "إن كان بينكم مريض فاخبروا شيوخ عشيرتكم ليقموا الصلاة عليه بعد أن يمسحوا جسده بالزيت الطاهر باسم السيد المسيح لأن صلاة المؤمن مستجابة و منقذة من مخالب الأدواء"⁽⁴⁾.

وتذكر هونكة أن "الواعظ الصليبي الكبير برنارد كلارفو (1090_1153)(كان)...يؤمن بكثير من المعجزات الشفائية لذلك حرم على رهبانه الذين كثيراً ما داهمهم المرض لرداءة الطقس وتغيير المناخ تناول العقاقير أو الاتصال بالأطباء لأنه كان يأبى لخلاص أرواحهم أن تعبت به عقاقير أرضية فتهدده"⁽⁵⁾.

لقد كان الاعتراف بالذنوب هو الشرط الأساسي الذي على أساسه يتم تقديم المساعدة للمريض، حتى أن هذا الشرط تحوّل إلى قرار رسمي أصدرته الكنيسة عام 895 م نصّت فيه، كما تنقله لنا هونكة، أن كل: "كاهن ملزم أن يعود كل مريض من رعيته وأن يرشّه بالماء المقدس ويشاركه الصلاة ثم ينبغي له أن يقبل منه اعترافه في غياب ذويّه ويحثّه على تصفية أموره الدينية والدينية معاً على أكمل وجه. وبناء على هذا فليس ثمة علاج بدون اعتراف"⁽⁶⁾.

ظلت الأمور على هذا الحال حتى أُلقت شمس العرب والمسلمين أضواءها وأنوارها على أوروبا المتخلفة وهنا ظهرت الحاجة ملحة للتعلّم ونهل المعرفة من منابع الحضارة العربية الإسلامية آنذاك والتي كانت من أهم العوامل التي قامت عليها النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر. وكانت علوم الحياة تحتل المقدمة في قائمة المعارف المطلوبة.

¹-تيرنر هوارد، العلوم عند المسلمين، صص 167، 165.

²- هونكة زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، صص 229.

³- المرجع نفسه، صص 230

⁴- المرجع نفسه، صص 219

⁵- المرجع نفسه، صص 223، 222

⁶- هونكة زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، صص 223.

2. مراكز النقل والترجمة واهم المؤلفات الطبية العربية الإسلامية التي تم نقلها إلى اللاتينية:

هناك عوامل كثيرة تجعل الاحتكاك بين الشعوب والأمم أمرا لا مفرّ منه، كالمبادلات التجارية والهجرة والزواج بالإضافة إلى عوامل نفسية لخصها ابن خلدون في كلمة وجيزة هي أن المغلوب مولع بتقليد الغالب. لذلك لما كانت أوروبا مغلوبة في أمرها فكان لزاما عليها أن تنظر في القنوات التي يمكن من خلالها مدّ جسور التواصل مع منجزات الحضارة العربية الإسلامية وبالفعل كانت هناك قنوات رئيسية لهذا التواصل تمثلت أساسا في:

أ. الأندلس:

كانت الأندلس في زمن حكم الخلافة العربية الإسلامية من أرقى وأثرى مدن العالم لما يزيد عن ثمانية قرون، كما كانت منارة العلم يؤمّها الطلاب من شتى البقاع وقد قصدوا العديد من الطلاب الوافدين من الدول الأوروبية لتعلم اللغة العربية وعلومها. من بين هؤلاء الطلاب نذكر الراهب الفرنسي غريبرت (Gerbert) الذي مكث في الأندلس ثلاث سنوات (967/970) وقد كانت مساهمته فعالة في ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية⁽¹⁾.

ب. إيطاليا:

يذكر بعض الكتاب أن مدينة سالرنو الإيطالية كانت "من طليعة المدن التي تسرّب من خلالها الفكر أن العربي والإسلامي إلى أوروبا الغربية... فقد عرفت أوروبا المستشفيات لأول مرة في تلك المدينة منذ القرن التاسع الميلادي وكان للعرب فضل كبير... ولا شك في أن مدرسة سالرنو كانت الجسر الذي وصل الشرق بالغرب وساعد في بعث طب جديد مستقل عن الأديرة والقساوسة واللاهوت"⁽²⁾.

يعتبر قسطنطين الإفريقي من أشهر المترجمين الذين أسهموا بشكل فعال في نقل العلم العربي إلى أوروبا بدءا بجامعة سالرنو التي عمل فيها إذ قام بترجمة "عددا من الكتب الطبية إلى اللاتينية وإدخاله الطب العربي إليها... ومن بين هذه المؤلفات الطبية التي ترجمها قسطنطين... كتاب " كامل الصناعة الطبية أو الكتاب الملكي لمؤلفه علي بن عباس، وعرف عنوان الكتاب باللاتينية باسم *liber rogius* ومؤلفه باسم *halyfilis*"⁽³⁾. ومن الكتب التي يذكر المؤرخون أنه نقلها من العربية إلى اللاتينية: كتاب المالينخوليا لإسحاق بن عمران وكتاب النبض والبول والحميات والأغذية لإسحاق بن سليمان وكتاب زاد المسافر لابن الجزار القيرواني بالإضافة لكتاب الحاوي لأبي بكر الرازي⁽⁴⁾.

ويعتبر فرج بن سالم هو الآخر من المترجمين الذين عوّلت عليهم جامعة سالرنو الإيطالية في نقل معارف الطب الإسلامية و كان يعرف هناك بفراجوت أو فراريوس

¹ - احمد محمد، إسهامات العرب في النهضة الأوروبية الحديثة، رؤية جديدة، مجلة دراسات تاريخية، كلية الآداب والعلوم السياسية، جامعة دمشق، العددان، 115_ 116 أيلول وكانون الأول، 2012، ص287.

² -سليمان عيد الحميد الزوي أمال، أثر الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية جامعة سالرنو أ نموذجا، (ليبيا:جامعة بنغازي (قاريونس)، دون تاريخ)، ص8.

³ -المرجع نفسه، ص9.

⁴ - المرجع نفسه، ص ص9، 10.

ويقال إنه نقل كتاب الحاوي للرازي بأمر الملك شارل الأول بالإضافة إلى ترجمته إلى اللاتينية لكتاب جالينوس في الطب التجريبي ومؤلفات حنين بن إسحاق وتقويم الأبدان لابن جزلة⁽¹⁾.

لقد تطور علم التشريح في جامعة سالرنو نتيجة ترجمة مؤلفات ابن سينا والرازي وأبي القاسم إلى اللاتينية، فمثلا كان لترجمة كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي المتوفى سنة 1107 مرجعا أساسيا اعتمده الأوروبيون لقرون عدة في تعلم الجراحة وتجبير العظام واستمر الأمر كذلك إلى القرن التاسع عشر الميلادي⁽²⁾.

لقد كانت جامعة سالرنو الطبية بالفعل نموذجا في الازدهار العلمي احتذت به سائر الجامعات في أوروبا مثل باليرمو وبادو ومونبلييه وأكسفورد وكلها اعتمدت على العلوم الطبية العربية في برامجها التعليمية⁽³⁾.

رابعاً: الأطباء المسلمون أساتذة أوروبا في عصرها الوسيط ونهضتها الحديثة.

هناك أطباء عرب ومسلمون كثر تتلمذ على أيديهم طلاب أوروبا وكانت مؤلفاتهم زاد لا غنى عنه في المؤسسات التعليمية فيها. وتجاوز تأثيرهم القرن الخامس عشر أي عصر النهضة الأوروبية، من هؤلاء نذكر الفيلسوف والطبيب ابن سينا والفيلسوف والطبيب ابن رشد والطبيب العالم أبو القاسم خلف ابن عباس الزهراوي وغيرهم كثير وسنختار منهم شخصيتين بارزتين كان تأثيرها واسع في مجال الطب هما: ابن النفيس وأبو بكر الرازي.

ابن النفيس: هو العلامة الفقيه الطبيب علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي (نسبة لقرية قرش بالقرب من دمشق) الملقب بابن النفيس (607هـ-687هـ/1210-1288م) ارتبط اسمه باكتشاف الدورة الدموية الصغرى والتي سجلها في كتابه الفريد من نوعه "شرح تشريح القانون" لكن حقيقة أنه هو الذي اكتشف الدورة الدموية ظلت غائبة ومطموسة ونسبت وهما إلى العالم الفسيولوجي الانجليزي وليام هارفي (ت1657) الذي يقال أنه هو مكتشف الدورة الدموية الكبرى سنة 1628م وظل الأمر على هذا الحال إلى أن أظهر الكاتب محي الدين التطاوي الحقيقة بعدما عثر على نسخة من مخطوطة من كتاب ابن النفيس في مكتبة برلين وقام بإعداد رسالته للدكتوراه حول الدورة الدموية وأثبت بالأدلة أنه ليس هارفي هو مكتشفها وإنما ابن النفيس⁽⁴⁾.

لقد ترك هذا الأخير بالإضافة إلى الكتاب الذي ذكرناه مؤلفات عظيمة أخرى منها "الشامل في الصناعة الطبية" وكتاب "الموجز في الطب" الذي "توجد نسخ منه على شكل مخطوط في كل من باريس وأكسفورد وفلورنسا وميونخ والإسكوريال ويقع الموجز في أربعة أجزاء نال تقدير وإجلال العالم"⁽⁵⁾.

¹-سليمان عبد الحميد الزوي آمال، أثر الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، ص10.

²- المرجع نفسه، ص7.

³- المرجع نفسه، صص10، 11.

⁴- السرجاني راغب، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، صص176، 177.

⁵- المرجع نفسه.

الرازي: هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المولود في الري حوالي سنة 250 هـ-864م/ ووتوفي حوالي سنة 320 هـ-923م⁽¹⁾ أعظم أطباء عصره بلا منازع، وصاحب كتاب "الحاوي" "الأثر العلمي الضخم (الذي) يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق... وظل المرجع الأساسي في أوروبا لمدة تزيد على الأربعمائة عام... دون أن يزاحمه مزاحم أو تؤثر فيه أو في مكانته مخطوطة من المخطوطات الهزيلة التي دأب في صياغتها كهنة الأديرة قاطبة"⁽²⁾.

ويعتبر الرازي من مؤسسي الطب الإكلينيكي وهو أول من صنف مقالات خاصة في طب الأطفال واستعمال أمعاء الحيوان كخيوط في العمليات الجراحية وأول من قال بالعدوى الوراثية ووصف الجدري ومرض الحصبة وأول من أدخل المركبات الكيماوية في العلاجات الطبية⁽³⁾.

تذكر زيغريد هونكة أن "ملك المسيحية لويس الحادي عشر اضطر إلى دفع اثني عشر ماركا من الفضة ومئة تالر taler من الذهب الخالص لقاء استعارته هذا الكنز الغالي رغبة منه في أن ينسخ له أطباؤه نسخة يرجعون إليها إذا ما هدد مرض أو داء صحته وصحة عائلته"⁽⁴⁾. وتضيف هونكة قولها: "اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم وبفضل صاحبه عليهم وعلى الطب إجمالاً فأقاموا له نصبا في باحة القاعة الكبيرة في مدرسة الطب لديهم"⁽⁵⁾.

خاتمة:

في الحقيقة لم يكن ما ذكرناه عن دور الطب العربي والإسلامي في نهضة الطب بأوروبا والغرب قاطبة سوى قطرة ماء في بحر عظيم من الإبداع والابتكار العلمي الذي وضع العلماء العرب والمسلمون أسسه ومناهجه العلمية وقواعده النظرية. والمطلوب من النخبة اليوم أن تزرع في نفوس الأجيال الثقة في النفس بعد أن يكاد هذا الإحساس يندثر لديها تماماً بسبب ما يروجّه الإعلام من أفكار خاطئة عن العرب وعن الإسلام ويتهمون الإسلام بأنه ضد التقدم العلمي ولا يشجع عليه وهذا خطأ لا يقرّه الواقع ولا التاريخ كما رأينا بالأدلة والبراهين. فالغرب لم يطور العلوم من لا شيء وإنما حركته العلمية ما هي إلا ثمرة لجهود أجيال سابقة قامت الحضارة البشرية على أساسها وقد كان للعرب والمسلمين دور لامع وبارز فيها.

قائمة المراجع:

1. أحمد محمد، إسهامات العرب في النهضة الأوروبية الحديثة، رؤية جديدة، مجلة دراسات تاريخية، كلية الآداب والعلوم السياسية، جامعة دمشق، العددان، 115_116 أيلول وكانون الأول، 2012.
2. أحمد حربي خالد، علوم حضارة الإسلام ودورها في الحضارة الإنسانية، الطبعة الأولى، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ديسمبر، 2005).

1- محسن حسين أحلام، الطب العربي وأثره على المعرفة الطبية في أوروبا، ص175.

2- هونكة زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، صص 243، 244.

3- السرجاني راغب، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ص191.

4- المرجع نفسه.

5- هونكة زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، صص 243، 244.

3. تيرنر هوارد، العلوم عند المسلمين، تر: فتح الله الشيخ، الطبعة الأولى، (دون مكان النشر: المجلس الأعلى للثقافة، 2004).
4. سارتون جورج، تاريخ العلم والإنسية الجديدة، تر: إسماعيل مظهر، د. ط، (القاهرة: دار النهضة العربية، ماي 1961).
5. الصباغ رمضان، العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوروبية، الطبعة الأولى، (الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، أغسطس، 1998).
6. السرجاني راغب، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، (تدمك: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، 2009).
7. هونكة زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، الطبعة الثامنة، (بيروت: دار الأفاق الجديدة، 1993).
8. الخولي يمنى طريف، بحوث في تاريخ العلوم عند العرب، د. ط، (دون مكان النشر: مؤسسة هنداوي، 2017).
9. محسن حسين أحلام، الطب العربي وأثره على المعرفة الطبية في أوروبا، مجلة التراث العلمي العربي، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العدد الثالث، 2015.
10. لوبون غوستاف، حضارة العرب، تر: عادل زعتر، د. ط، (مصر: هنداوي للتعليم والثقافة، 2012).
11. سليمان عبد الحميد الزوي أمال، اثر الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية جامعة سالرنو أ نموذجاً ، (ليبيا: جامعة بنغازي (قاريونس)، دون تاريخ).